الباب الرابع والأربعون

في أشجار الجنة، وبساتينها وظلالها

قال تعالى : ﴿ **وأصحابُ اليمينِ ما أصحابُ اليمينِ. في سِدرٍ مَخضودٍ وطَلحٍ منضُودٍ. وظلٍّ مَمدودٍ. وماءٍ مَسكوبٍ . وفاكهةٍ كثيرةٍ. لا مَقطوعةٍ ولا مَمنوعةٍ** ﴾ [الواقعة : ٢٧ ـ ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ **ذواتا أفنانٍ** ﴾ [الرحمن : ٤٨] وهو جمع فَنَن : وهو الغصن، وقال : ﴿ **فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمانٌ** ﴾ [الرحمن : ٦٨] .

والمخضود : الذي قد خضد شوكه :أي نزع وقطع، فلا شوك فيه . هذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وقتادة، وأبي الأحوص، وقسامة بن زهير، وجماعة . واحتج هؤلاء بحجتين :

إحداهما : أن الخضد في اللغة : القطعُ ، وكلُّ رطب قضبته فقد خضدته، وخضدت الشجر : إذا قطعت شوكه ، فهو خضيد ومخضود، ومنه الخضد، على مثال الثمر، وهو كل ما قطع من عود رطب، خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب، والخَضاد شجر : رخو،لا شوك له .

الحجة الثانية : قال ابن أبي داود : حدثنا موسى بن مصفى، حدثنا محمد بن المبارك، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثني ثور بن يزيد، حدثني حبيب ابن عبيد، عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال :كنتُ جالساً مع رسول الله ﷺ، فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، أسمعكَ تذكر في الجنةِ شجرةً لا أعلمُ شجرةً أكثرَ شوكاً منها ـ يعني الطلحَ ـ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « **إن الله يجعل مكانَ كلِّ شوكةٍ منها ثمرةً مثلَ خُصوةِ التيسِ الملبودِ، فيها سبعون لوناً من**

الطعام، لا يشبه لون آخر »[1] . « الملبود » : الذي قد اجتمع شعره بعضه على بعض .

وقال عبدالله بن المبارك : أخبرنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إنَّ الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابيٌّ يوماً ، فقال : يا رسولَ اللهِ ، ذكر الله في الجنةِ شجرةً مؤذيةً ، وما كنتُ أرى في الجنةِ شجرةً تُؤذي صاحبَها، قال رسول الله ﷺ : « وما هي » ؟ قال : السدْرُ، فإنَّ له شوكاً مؤذياً . قال : « أليس الله يقول : ﴿ في سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾؟![و]خَضَدَ الله شوكَهُ فجعلَ مكانَ كلِّ شوكةٍ ثمرةً»[2]وقالت طائفة : المخضود هو : الموقر حملاً. وأنكر عليهم هذا القول، وقالوا : لا يعرف في اللغة الخضد بمعنى الحمل،[و]لم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول، بل هو قول صحيح ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه [وتعالى] لما خضد شوكه وأذهبه، وجعل مكان كلِّ شوكة ثمرة أوقره حملاً. والحديثان المذكوران يجمعان القولين.

وكذلك قول من قال : المخضود الذي لا يعقر اليد، ولا يرد اليد منه شوك ولا أذى فيه، فسره بلازم المعنى، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة، وفرداً من أفراده [تارة] ، ومثالاً من أمثلته فيحكيها الجمَّاعون للغثِ والسمين أقوالاً مختلفة، ولا اختلاف بينها .

فصل

وأما الطَّلحُ، فأكثر المفسرين قالوا : إنه شجر الموز. قال مجاهد :

---

(١) أخرجه في «البعث والنشور» (٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٠٣/٦، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٥٦/٦ ونسبه إلى الطبراني وابن مردويه، والهيثمي في «المجمع» ٤١٤/١٠ وقال:رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٦٣) ، وعن أبي أمامة الحاكم ٤٧٦/٢ وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في « البعث » (٣٠٢) ،وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٥٦/٦ .

أعجبهم طلح وجٍّ وحسنه ، فقيل لهم : ﴿ **وطلح منضود** ﴾ وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عبَّاس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخُدْري رضي الله عنهم .

وقالت طائفة أخرى : بل هو شجر عظام طوال، وهو من شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب، قال حاديهم :

بَشَّرها دَليلُها وقَالا غداً ترين الطَّلحَ والجِبَالاَ

ولهذا الشجر نَور ورائحة طيبة ، وظلٌّ ظليل، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك . قال ابن قتيبة : هو الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره، فليس له ساق بارز وقال مسروق : ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها ، وأنهارها تجري في غير أخدود .

وقال الليث : الطلح : شجر أم غيلان[1] له شوك أحجن ، من أعظم العضاه شوكاً ، وأصلبه عوداً ، وأجوده صمغاً . قال أبو إسحاق : يجوز أن يعني به شجر أم غيلان ، لأن له نوراً طيبَ الرائحة جداً ، فوعدوا بما يحبون مثله، إلا أن فضله علي ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا، فإنه ليس ما في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي ، والظاهر أن من فسر ﴿ **الطلح المنضود** ﴾ : بالموز، إنما أراد التمثيل به لحسن نضده ، وإلا فالطلح في اللغة : هو الشجر العظام من شجر البوادي والله أعلم .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلها مئة عام لا يقطعها فاقرؤوا إن شئتم ﴿**وظِلٍّ مَمدُودٍ**﴾[2]»[الواقعة: ٣٠] .

---

(١) أم غيلان : شجر السَّمُر .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٢) في بدء الخلق : باب (٨) ما جاء في صفة الجنة، ومسلم (٢٨٢٦) (٧) في الجنة : باب (١) . في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها ، والبيهقي في « البعث » (٢٩٤) .

وفي « الصحيحين » أيضاً : من حديث أبي حازم، عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلها مئة عام لا يقطعها »[1] .

قال أبو حازم : فحدثنا به النعمان بن أبي عياش الزرقي فقال : حدثني أبو سعيد الخُدْري ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ في الجنةِ لشجرةً يَسيرُ الراكبُ الجوادُ المضمَّرُ السريعُ في ظِلّها مئة عام ما يقطعها »[2] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا شعبة ، عن أبي الضحاك، سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ في الجنةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلها سبعينَ أو مئة سنة ، هي شجرةُ الخلدِ »[3] .

وقال وكيع : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى بني مخزوم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : إن في الجنةِ شجرةً يَسيرُ الراكبُ في ظلها مئة عام اقرؤوا إنْ شئتم﴿ **وظِلٍّ مَمدُود** ﴾ فبلغ ذلك كعباً فقال : صدق، والذي أنزل التوراة على لسان موسى، والفرقان على لسان محمد ﷺ ، لو أن رجلاً ركب جَذَعةَ أو جذَعاً ، ثم دار بأصل تلك الشجرةِ ما بلغها حتى يسقط هرماً ، إنَّ الله غرسها بيده ونفخَ فيها [من روحه]، وإن أفنانها من وراء سورِ الجنة، ما في الجنة نهر إلا وهو يخرجُ من أصل تلك الشجرة »[4] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا أبو عامر العقدي، حدثنا زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الظل الممدود : شجرةٌ في الجنة على ساق قدر ما

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٢) في الرقاق باب (٥٠) صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٨٢٧) في الجنة : باب (١) في الجنة شجرة .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٥٣) في الرقاق، باب (٥١) صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٨٢٨) في صفة الجنة ، باب (١) إن في الجنة شجرة، والبيهقي في « البعث » (٢٩٧) .

(٣) أخرجه أحمد ٢/٤٥٥ ، وابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٦٦) .

(٤) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٦٧) .

يسير الراكب المجد في ظِلّها مئة عام في كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة : أهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها ، قال : فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهوٍ كان في الدنيا[1] .

وفي « جامع » الترمذي من حديث أبي حازم، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » قال : هذا حديث حسن [غريب][2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أذنٌ سمعتْ ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ ، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ **فلا تَعلَمُ نفسٌ ما أخفيَ لَهُمْ من قُرَّةِ أعيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ [السجدة : ١٧] ، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عامٍ لا يقطعها، واقرؤوا إنْ شئتم ﴿ **وظِلٍّ ممدودٍ** ﴾ . [الواقعة : ٣٠] ، وموضعُ سَوطٍ من الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها ،واقرؤوا إن شئتم ﴿ **فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فازَ**﴾[3] **[آل عمران: ١٨٥]**»، رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذي والنسائي وابن ماجه ، وصدره في « الصحيحين » .

وفي « صحيح » البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ في الجنةِ لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مئة عام لا يقطعها، وإن شئتم فاقرؤوا: ﴿**وظِلٍّ ممدودٍ. وماءٍ مَسْكوبٍ**﴾»[4] **[الواقعة: ٣١ ـ ٣٢]** » .

وقال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث أن دَرَّاجاً أبا السّمح حدثه،

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ١/١٥٧ ونسبه إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٢٥) في صفة الجنة : باب (١) ما جاء في شجرة الجنة .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٩٢) في التفسير : باب (٥٧) من سورة الواقعة وقال : حسن صحيح ، ومختصراً عند البخاري (٤٧٧٩) في التفسير : باب (٣٢) سورة السجدة، ومسلم (٢٨٢٤) في الجنة، وابن ماجة (٤٣٢٨) في الزهد : باب (٣٩) صفة الجنة .

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٨١) في التفسير : باب (٥٦) سورة الواقعة من حديث أبي هريرة، و(٦٥٥٢) في الرقاق : باب (٥١) صفة الجنة من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .

عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال : قال رجلٌ : يا رسول الله، ما طُوبى؟ قال: « شَجرةٌ في الجنةِ مسيرةُ مئة سنة، ثيابُ أهلِ الجنةِ تَخرجُ من أكمامها »[1] ، وقد رواه عنه حرملة بزيادة ، فقال : أخبرني ابن وهب، أخبرني عمرو، أن درّاجاً حدثه، أن أبا الهيثم حدثه، عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسولَ اللهِ، طوبى لمن رآك وآمنَ بكَ ؟ فقال : « طُوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى، ثم طُوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » ، فقال رجلٌ : يا رسول الله ، ما طُوبى ؟ قال : « شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها »[2] .

قلت : وأول هذا الحديث في « المسند » ، ولفظه : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطُوبى لمن آمنَ بي ، ولم يرني سبعَ مراتٍ »[3] .

وقال ابن المبارك : حدثنا سفيان ، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « نخلُ الجنةِ جذوعُها من زُمرد أخضرَ ، وكَرَبُها ذهبٌ أحمرُ، وسَعَفُها كسوة لأهل الجنة، منها مُقطَّعاتهم وحُللهم ،[4] وثمرها أمثال القِلال والدِّلاءِ ، أشدّ بياضاً من اللَّبن ، وأحلَى من العسلِ ، وألينُ من الزُّبد، ليس فيه عجمٌ »[5] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر ، حدثنا هشام بن يوسف، حدثنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد

---

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد ٣/٧١ .

(٢) أخرجه أحمد ٣/٧١ بلفظه، وابن حبان (٧١٨٦) في « صحيحه » مختصراً .

(٣) أخرجه أحمد ٥/٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦٤ من حديث أبي أمامة بألفاظ متقاربة .

(٤) في الأصل : حلاهم، والتصويب في « الزهد » .

(٥) أورده المنذري في « الترغيب والترهيب » ٤/٥٢٣ بلفظه وقال : رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً بإسناد جيد، وأخرجه البيهقي في «البعث» (٣١١)، والحاكم ٢/٤٧٥ ـ ٤٧٦، وقال: صحيح على شرط مسلم، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٨٨) عن سعيد بن جبير بألفاظ متقاربة.
الكَرَب: أصول السعف الغلاظ العراض. السعف: أغصان النخيل. القلال جمع قلة: وهي الجرة العظيمة. عجَم: نوى التمر أو ما أشبهه.

السلمي رضي الله عنه يقول : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض، وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابي : فيها فاكهةٌ ، قال : « نعم وفيها شجرةٌ تُدعَى طُوبى، فذكر شيئاً لا أدري ما هو؟» فقال: أي[1] شجرٍ أرضنا تشبهه؟، قال: «ليست تشبهُ شيئاً من شجر أرضك»، فقال النبي ﷺ: «أتيت الشام»؟ قال: لا، قال: «تشبه شجرة بالشام تُدعى الجوزة، تُنبتُ على ساقٍ واحدٍ، وينفرشُ[2] أعلاها» قال: ما عِظمُ أصلِها؟ قال: «لو ارتحلتَ جذعةً من إبل أهلك ما أحاطت بأصلِها، حتى تنكسر ترقوتها هرماً». قال: فيها عنبٌ؟ قال: «نعم» قال: فما عِظمُ العنقود؟. قال: «مسيرةُ شهر للغراب الأبقع لا يفتر[3]» قال: فما عظمُ الحبةِ. قال: «هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قَطُّ عظيماً؟» قال: نعم، قال: «فسلخ أهابهَ فأعطاهُ أمَّك، فقال: اتخذي لنا منه دَلْواً؟» قال: نعم، قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهلَ بيتي، قال: «نعم وعامة عشيرتكَ»[4].

وقال أبو يعلى الموصلي في « مسنده » : حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن اسحاق، عن يحيى بن عباد، عن عبدالله ابن الزبير، عن أبيه، عن اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : سمعت رسولَ الله ﷺ، وذكر سدرة المنتهى فقال : « يسيرُ في ظلِّ الفنَنِ منها الراكبُ مئة سنة، أو قال : يَستظِلُ في الفَنَنِ منها مئةُ راكب، فيها فراشُ الذهبِ كأنَّ ثمرَها القلالُ » . ورواه الترمذي وقال : شك يحيى، وهو حديث حسن غريب[5] .

---

(١) في الأصل : إن .

(٢) في الأصل : ويفترش .

(٣) وفي « المسند » لا يعتر : وهو خطأ .

(٤) أخرجه أحمد ٤/١٨٤ .

أخرجه الترمذي (٢٥٤١) في صفة الجنة : باب (٩) ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة،

(٥) أخرجه الترمذي (٢٥٤١) في صفة الجنة: باب (٩) ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة، وأبو يعلى كما في «النهاية» ٢/٤٢١، والطبراني ٢٤/٨٧ ـ ٨٨، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٣٥)، والحاكم في «المستدرك» ٢/٤٦٩ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال : [إن] أرض الجنةِ من ورَق، وترابها مسكٌ ، وأصول أشجارها ذهبٌ وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرجدٌ وياقوتٌ، والورقُ والثمرُ تحتَ ذلك، فمن أكلَ قائماً لم يؤذه، ومن أكلَ جالساً لم يؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه، **﴿وذُلِّلَتْ قُطوفها تذليلاً﴾**[1] [الإنسان: ١٤].

وقال أبو معاوية : حدثنا الأعمش، عن أبي ظبيان عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال : نزلنا الصَّفاحَ، فإذا رجلٌ نائمٌ تحتَ شجرةٍ قد كادتِ الشمسُ أن تبلغَهُ، قال : فقلتُ للغلامِ : انطلقْ بهذا النِّطع فأظلَّهُ، قال : فانطلقَ فأظلَّهُ، فلما استيقظَ إذا هو سلمان فأتيته أُسلِمُ عليه، فقال : يا جريرُ، تواضعْ لله، فإنه من تواضعَ لله رفعهُ الله يومَ القيامةِ، يا جريرُ، هلْ تدري ما الظلماتُ يومَ القيامةِ ؟ قلتُ : لا أدري . قال : ظلمُ الناسِ بينهَم ، ثم أخذ عُويداً، لا أكاد أراه بين أصبعيهِ ، فقال : يا جريرُ، لو طلبت مثلَ هذا في الجنةِ لم تجدْه، قلتُ يا أبا عبد الله، فأينَ النخلُ والشجرُ ؟ قال : أصولها اللؤلؤُ والذهبُ وأعلاها الثمرُ[2] .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٢٩)،وابن أبي شيبة ١٣/ ٩٥ ، والبيهقي في «البعث» (٣١٤)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٣٠٠ ونسبه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣١٦)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ١٥٠ ونسبه إلى ابن أبي شيبة، وهناد بن السري.